الفصل الثاني

الشـــــجاعة

- الكرم .
- الحلم .
- الثبـات .
- كظم الغيظ .
- العفـو .
- المودة .

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثانى

الشـــــجاعة

● تعريف الشـجاعة :

يقول الوطواط ان الشجاعة هى : « الاقدام على الأمور المتلفة »[1].

وينص « المحكم » على ان الشـجاعة هى : « الاشـتداد عنـد البأس »[2] .

وينص « المحكم » على ان الشـجاعة هى : « الاشـتداد عنـد الوسط بين خلتين : هما التهور والجبن ، كما تشـير الى ذلك نظرية الأوسـاط . وهى غريزة من الغرائز يعليها ما يراه الانسان منذ حداثتـه فى بيئته التى عاش فيها من ألوان البطولة والاقدام ، وما يلقنه عن أبيه وأمه وسـائر المحيطين به من مواقف التضحية والتفانى وعدم الخوف والفزع . ويسمو اثر هذه الغريزة أن يعيش المرء فى وسـط يرزح تحت أعباء من التقاليد البالية والتربية الفاسـدة التى تجسم له الأشـباح والخيـالات وتخيفه من الظلام والوحدة ، وأعباء من العـادات التى تضرب حول الناشئة سياجا منيعا ليس من حقهم أن يظهروه أو يحطموه ، وتولد عنـدهم كبتا وحقدا على مجتمعهم الذى يعيشـون فيه ، وتحملهم على أن يتهيبوا جميع المواقف المشرفة .

والشجاعة هى احدى أمهات الفضـائل التى ينبغى أن يتحلى بها الانسـان لكى يكون رجلا .

وللشجاعة ضروب مختلفة ، ولكل منها عشـاق ، ويندر أن تتجمع

---

(١) انظر : غرر الخصائص الواضحة ـ مصر : المطبعة الأدبية المصرية سنة ١٣١٨ هـ ص ١٩٩

(٢) المحكم جـ ٣ ص ١٧٤

ضروبها فى فرد من أفراد المجتمع البشرى ؛ لأن من يهوى الشجاعة المادية قد تعجزه الشجاعة النفسية والأدبية ؛ وأكثر تلك الضروب تبادرا الى الذهن اللون المعروف الذى يفهم عند الاطلاق وهو الشجاعة الجسمية . وأصحابها هم ذوو العضلات المفتولة ، والسواعد القوية . والبنية السليمة . والظهر الفارع . الذين ينازلون الابطال ، ويصرعون الأسياد والرجال . ويتسلقون الاصواد ، ويعيرون على الاعداء ، ويكرون ولا يفرون . ويقدمون ولا يدبرون . ولسان حالهم يقول :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدامنا تقطر الدما

ولقد أقام العرب لهذا اللون دولة ونصبوا لأصحابه المهرجانات . وتغنوا بمآثرهم وافاضوا فى الحديث عنهم ، وفى الذروة من ابطال العرب عنترة بن شداد ، وعمرو بن معدى كرب ، وغيرهم .

ولما كانت للشجاعة من الصفات التى يرنو اليها الكثير فقد أحبها بعض الأدباء والشعراء : كحسان بن ثابت وأبى العلاء المعرى وغيرهما من أولئك الذين لم يمارسوا حربا ، أو ينازلوا أحدا .

ومن يطلع على الشعر قديمه وحديثه . ويتنقل بين رياضه ، يرى أن الشجاعة قد احتلت فيه المكان الأول ، وفازت منه بالنصيب الأوفر . والى القرىء الكريم طرفا من تلك الأشعار :

قال المتنبى فى قصيدته التى يعاتب فيها سيف الدولة :

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت فى الفلوات الوحش منفردا حتى تعجب منى القور والأكم(١)

والشجاعة ــ اذن ــ نوعان :

(أ) شجاعة فى القول أو الرأى .
(ب) شجاعة فى الفعل أو الحرب .

---

(١) انظر : الشجاعة فى نظر الاسلام ــ زكى سويلم (مقالة) .

ولما كان رسولنا صلى الله عليه وسلم « القدوة الحسنة » وبطل الأبطال فسنكتفى ببيان خلق الشجاعة بنوعيه عنده لأنه ضرب أروع الأمثلة فى هذا الخلق وبشكل لا نجد له شبيها على الاطلاق .

وتتجلى شجاعته صلى الله عليه وسلم فى الرأى حين خرج على قومه مفاجئا بالدعوة التى كرهوها ، وحين صبر على الأذى والسخرية ، وحين المقاطعة وحين بعث أنصاره الى الحبشة فرارا من الأذى والموت ، وبقى هو يتعرض للأذى ، وحين مات عمه ابو طالب وزوجه خديجة فى أيام متتابعات ، وكان فى عمه وزوجه الوزير والنصير ، وحين عرض نفسه على القبائل ، وحين هاجر أنصاره الى يترب ، وبقى هو يقيم صلاته ويجهر بالقرآن قبل أن يهاجر[1] .

وسنضرب بعض الأمثلة لشجاعته فى الرأى لا نجد لها نظيرا فى التاريخ القديم أو الحديث ، فمن ذلك ما حدث بينه وبين عمه أبى طالب . والذى حدث أن وفدا من زعماء قريش قد جاء الى أبى طالب ينذره ، ويطلب اليه أن يكف ابن أخيه عن قريش ، أو تنازله حتى يهلك أحد الفريقين ، فعظم الأمر على أبى طالب ، وخشى عواقب ذلك ، فبعث الى محمد قائلا له : أن قومك قد أنذرونى ، فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق .

فأجاب محمد صلى الله عليه وسلم : « ياعمى والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته » . وبكى وقام ، فلما ولى ناداه أبو طالب : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل فقال : أذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا » .

فهذا مثال عظيم للشجاعة فى الرأى والثبات على الحق والمبدأ ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة لنا .

---

(١) انظر : بطل الأبطال ـ أو أبرز صفات النبى محمد ﷺ ـ عبد الرحمن عزام ، ص ٢٤

أما شجاعته فى الحرب فلا نقل عن شجاعته فى الرأى ، وأكتفى هنا بمثالين فقط لهما أهميتهما الكبرى .

(أ) فزع أهل المدينة ليلة . فانطلق ناس قبل صوت . فتلقاهم رسول الله راجعا . وقد سبقهم الى ذلك الصوت . وعرف الخبر وكان راكبا فرسا وسيفه فى عنقه . وهو يقول لأهل المدينة : لن تراعوا .

(ب) ويوم حنين وقف على بغلته . والناس يفرون عنه . وهو يقول :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما رئى احد يومئذ كان أثبت منه . ولا أقرب للعدو . وهاتان الحادثتان مهمتان جدا . لأن الاولى منهما هب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكان الخطر . قبل ان يتحرك الناس . وفى الثانية ثبت فى مكان الخطر وقد فر الناس . والذين لهم علم بالحرب يعرفون أنه بهذين الموقفين تتحقق الشجاعة . فليس أصعب على النفس من السبق الى الخطر . ولا من الصبر عليه وقد استولى الخوف وغلب الرعب .

● **الشجاعة فطرية ومكتسبة :**

يتفاوت الناس نسبا لديهم من شجاعة أو جبن فى أصل فطرتهم . فبعض الناس مفطورون على خلق الشجاعة ، وبعضهم مفطورون على الجبن . وبعض الناس أشجع من بعض فى أصل الفطرة ، فللشجاعة عند الشجعان نسب متفاوتة . وبعض الناس أجبن من بعض فى أصل الفطرة . وللجبن عند الجبناء نسب متفاوتة . وما من شجاع الا لديه نسبة ما من الجبن لفطرى . وما من جبان الا لديه نسبة ما من الشجاعة الفطرية . والتفاوت من الناس فيما لدى كل منهم من نسبة من الجبن ونسبة من الشجاعة . كسائر المزدوجات فى التكوين النفسى أو التكوين الجسدى ، ففى التكوين الجسدى نلاحظ هرمونات الذكورة والأنوثة فى كل ذكر وأنثى ومتى غلبت نسبة احداها الأخرى برزت صفاتها . فان كانت الغالبة هى هرمونات الذكورة كان الانسان

ذكرا ، وان كانت الغالبة هى هرمونات الأنوثة كان الانسان أنثى ، وعند التساوى يكون الانسان خنثى ، وما من انسان يوجد فيه الصنفان معا ، وتزداد الذكورة كلما ازدادت نسبة هرموناتها فى الجسد ، وتزداد الأنوثة كلما ازدادت نسبة هرموناتها فى الجسد .

كذلك مزدوج الجبن والشجاعة فى كل انسان .

● **كيف تكون شجاعا ؟**

وحال خلق الشجاعة فى قابليته للاكتساب كحال سائر الأخلاق فالاخلاق كلها منها ما هو فطرى ومنها ما هو مكتسب ، فمن الشجاعة شجاعة فطرية . ومنها شجاعة مكتسبة . ومن الجبن جبن فطرى ومنه جبن مكتسب . ولاكتساب خلق الشجاعة وسائل ، منها الوسائل التالية :

الوسيلة الأولى : التدريب العملى بدفع الانسان الى المواقف المحرجة التى لا يتخلص منها الا بأن يتشجع ، وينبغى أن يكون ذلك بالمقدار الذى يغذى بخلق الشجاعة ، ولا يزيد نسبة الجبن .

الوسيلة الثانية : الاقناع بأن معظم مثيرات الجبن لا تعدو أنها أوهام لا حقيقة لها .

الوسيلة الثالثة : القدوة الحسنة وعرض مشاهد الشجعان . وذكر قصصهم . مع تمجيدهم . والثناء عليهم . ومنحهم المكافآت المغرية . لاثارة عنصر المحاكاة . ثم المتابعة . ثم المنافسة .

الوسيلة الرابعة : اثارة دوافع التنافس ، ومكافأة الأشجع بعطاءات مادية مع الثناء والاطراء والتمجيد .

الوسيلة الخامسة : ترسيخ عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ، وأن الانسان لن يصيبه الا ما كتب الله له . وترسيخ عقيدة الايمان باليوم الآخر .

ولما كان التدريب العملى من أفضل الوسائل لاكتساب الأخلاق والمهارات ، وجدنا أهل البادية يتمتعون بشجاعة اجتياز المفازات ومقارعة

خطوبها ، ووجدنا أهل لجبال يتمتعون بشجاعة ارتقاء شواهقها ، واختراق عقباتها . ووجدنا أهل الجزر البحرية والسواحل يتمتعون بشجاعة ركوب البحار وخوض غمارها ، ومصارعة أمواجها ، كل ذلك بسبب التدريب العملى الذى يمارسونه بحكم بيئتهم التى تفرض عليهم ظروف معينة تغرس فيهم لونا من ألوان الشجاعة ، لاسيما اذا ارتبطت أرزاقهم ووسائل عيشهم بخوض غمار المخاوف .

وللاقناع تأثير فعال فى غرس الأخلاق أو تهذيبها فى الأنفس ، فمن عرف فضيلة الشجاعه وفوائدها . ورذيلة الجبن ومضاره ، تكونت لديه عناصر مهمة مساعدة على اكتساب خلق الشجاعة ، وكذلك سائر الأخلاق .

والقدوة الحسنة والمشاهدة والقصة أثر ايجابى كبير فى الأنفس . فمشاهدة أعمال الشجعان الابطال . وذكر قصصهم ، من الوسائل المساعدة على غرس خلق الشجاعة . وهذا ما كانت تلجأ اليه الأمم فى مشاهد البطولات وفى تداول سير أبطالها وشجعانها ، ليغرس ذلك فى قلوب ناشئتها خلق الشجاعة .

ولوسيلة التنافس والمكافآت أثر عظيم فى التربية بوجه عام . ومن ذلك اكتساب الفضائل الخلقية .

وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة مشحونة بالتدريب العملى للمسلمين على خلق الشجاعة . فكان يدفع أصحابه باستمرار الى مواقف البسالة والاقدام . حتى اكتسبوا من خلق الشجاعة ما فاقوا به كل الشجعان . وقصص بطولات الرسول وأصحابه فى هذه الحقبة كثيرة . ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلم الرمى واستمرار التدريب عليه ولو كان على سبيل اللهو بين المتدربين .

● **أمثلة فى الشجاعة الايمانية :**

١ ــ روى البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أرأيت ان قتلت فأين أنا ؟.

قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : فى الجنة ، فألقى تمرات كن فى يده ، ثم قاتل حتى قتـل .

يتبين لنا من هذه القصة أن الصحابى سـأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن مكانه بعـد الموت اذ هو قتـل فى سبيل الله ، وأخبره الرسول صلى الله عليـه وسلم بأن مكانه فى الجنة ، توقدت فى قلبـه نيران الشـوق الى لقاء ربه ، فلم يصبر مدة يسيرة يأكل فيها تمرات معدودات كانت فى يده مع ما يشـعر به من جوع ، بل ألقى بها واندفع بشـجاعة نادرة يبتغى الشـهادة فى سـبيل الله ، وما زال يقاتل قتال المسـتميت حتى قتل رضى الله عنه وأرضـاه[1] .

وخلاصة القول أننا لكى نربى المسلم الرجل الشجاع الذى لا يعرف الجبن علينا أن نرسخ فى أعماقه الايمان بالقيمة العليا للدين ، والأمة ، وأن يكون الرسـول صلى الله عليـه وسلم وأصـحابه رضى الله عنهم القدوة والمثل الأعلى فى الشجاعة والرجولة .

* * *

(١) انظر : الأخلاق الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن الميـدانى ، ص ٥٦٧ ـ ٥٨١ (بتصرف) .

obeikan.com

المبحث الأول

الكـــــرم

الكرم واحدة من الشـمائل الحسنة والفضائل الخلقية التى تدلل بأن صاحبها يمتاز بالأخلاق الخيرة ، وأن ما يقوم به يستحق عليه الاطراء وعبارات الاستحسان • فالكرم والسخاء يعبران عن ايثار رفيع المستوى والكرم فى الوقت عينه هو حال اعتدال تتناقض مع الاسراف والافراط فى الانفاق وكذلك تتناقض مع الشح والتقتير •

ويكون الكرم عند صاحبه سجية متأصلة فى نفسه انطلاقا من قواعد النظام التربوى الذى أعد عليه وساهم فى تقويم شخصيته منذ الصغر • لأن الكرم ليس الصرف فحسب ، وانما هو سلوك فى الانفاق مقترن بطيب نفس ، ونبع من نية فعل الخير ، لذلك ترى الكريم غير متكلف ولاساع الى مظاهر تعبر عن اصطناع يكمن وراءه هدف آنى . أو مصلحة معينة •

قد يكون مفيدا أن نعلم بأن صفة « كريم » هى من صفات الله تعالى وأسمائه ، ولكن يجب أن نعلم بأن الله تعالى هو الكريم المطلق الكرم المنقذ ، وبهذا جمع اسم كريم كل ما يحمد عليه الله تعالى • والقرآن سمى : « قرآن كريم فى كتاب مكنون » لما حواه من الهدى للناس والبيان والحكمة والعلم •

ان الله تعالى وهو الكريم أحب كل كريم ، وذم البخل وجاء بالوعيد البخيل فى قوله تعالى : **وأما من بخل واستغنى • وكذب بالحسنى • فسنيسره للعسرى • وما يغنى عنه ماله اذا تردى •(١)** •

ان الاسلام يأمرك فى حياتك الخاصة بالاعتدال لا اسراف ولا تقتير فيقول الله تعالى : **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا •(٢)** •

---

(١) الليل : ٨ ـ ١١ (٢) الاسراء : ٢٩

أما فى حياتك الاجتماعية وصلتك بالناس فليس فى الجود فيها سرف ولا تبذير . انه الميـدان الذى تزداد مكاتتك عند الله بمقدار ما تنفق فيـه من مالك .

﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهـار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾(١) .

بهذه الأخلاق ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته ، وربى صـحابته النـاس ، فكان ما خلد التاريخ من آثار برهم وسـخائهم مما لا ينقضى منه عجب التاريخ .

لقد كان أبو بكر رضى الله عنه فى حياته الخاصة من أبسط الناس معيشة ومأكلا وملبسـا ، حتى اذا احتاج المسـلمون الى المـال للانفاق فى غزوة تبـوك ، وحث رسـول الله الناس على تجهيز الجيش ، جـاء أبو بكر بكل ماله فقال له رسـول الله : ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : لقد أبقيت لهم الله ورسـوله ، وفى هذا الوقت ذاته جاء عمر بن الخطاب بنصف ماله . وجاء عثمان بن عفان بمال كثير ورواحل كثيرة وجهز كثيرين من الصحابة على حسـابه ، ولقد كان النسـاء يأتين بحليهن وزينتهن الى رسـول الله راضيات مستبشرات ، وانكم لترون فى أخبـار الكرم الاجتماعى لدى المسـلمين الأوائل ، ما لا يقتصر أثره على فئـة الأغنياء دون الفقراء ، أو على الرجال دون النساء .

فهذا عثمان الغنى يصيب الناس فى عهد خلافة عمر قحط وشدة ، فتأتيه قافلة من الشـام ألف جمـل ، عليها أصـناف الطعام واللبـاس مما لا يقدر فى تلك المحنة بثمن ، فيجيئوه التجار يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة . فيقول : كم تعطونى ربحا ؟ قالوا خمسة فى المـائة ، قال انى وجدت من يعطينى أكثر ، قالوا سـتة ، قال وجدت من يعطينى أكثر . فما زالوا يزيدونه حتى أعطوه عشرة فى المـائة ، فقال لهم وجدت من يعطينى أكثر . فقالوا ما نعلم فى التجار من يدفع أكثر من هذا الربح ،

---

(١) البقرة : ٢٧٤

ونحن تجار المدينة والآن وصلت القافلة ، فمن أعطاك أكثر من هـذا ، فقال لهم عثمان انى وجدت من يعطينى على الدرهم سبعمائة فأكثر ، انى وجدت الله يقول : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبـة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسـع عليم** ﴾(١) .

أشهدكم أنى بعتها لله وأنها صدقة على المسلمين .. هذا مثل من الأغنياء . واشـتغل عامل فى الليل لجماعة يسـقى لهم أرضهم بالمـاء ، حتى اذا انتهى فى الصباح قبض أجرته صـاعين من الشعير ، فجاء بهما الى النبى صلى الله عليـه وسلم . فقال : يا رسـول الله هذان صاعان اشتغلت بهما الليل كله . فصاع امسكه لأهلى وصاع أضعه بين يديك لتعطيه الى اخوانى المحتاجين ... وهذا مثل من العمال ..

وكان على كرم الله وجهه يأكل مع زوجته فاطمة ما لا يكاد يكفيهما فجاءهما سـائل فأعطياه ما يأكلان ، وظلا طاويين من الجوع حتى نزل فيهما قـول الله تبـارك وتعـالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾(٢) وهذا مثل من الفقراء .

وتتصدق عائشة يوما بمائة ألف درهم من عطاء لها . وهى صائمة لا تلبس الا ثوبا باليا .. فقالت لها خادمتها بعد أن أنفقتها : لو أبقيت لنا ما نفطر عليـه لكان خير ، فقالت عائشة وقد نسيت نفسها وذكرت أمتها .. لو ذكرتينى لفعلت .. وهذا مثل من النساء .

بهذه الاخلاق وهذا الكرم الاجتماعى شيدت المساجد فى صـدر الاسلام وأنشئت المدارس . وكثرت الأوقاف وبنيت الخانات ليـأوى اليها أبناء السـبيل(٣) .

---

(١) البقرة : ٢٦١ (٢) الحشر : ٩

(٣) انظر : اخلاقنا الاجتماعية ـ مصطفى السباعى ـ دمشـق : المكتب الاسلامى ـ الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) ص ١٦ وما بعدها (بتصرف) .

ويحثنا الاسلام الى اكرام الضيف لأنه من السجايا العربية وأعتبرها من مكارم الأخلاق • وفى السنة النبوية أحاديث كثيرة تحث على اكرام الضيف وتشـيد بالكرام ، وقد التزمنا فى هذه الأحاديث الاقتصار على ما يرد فى القـرآن الكريم من حث على مكارم الأخـلاق أو نهى عن مسـاوئها •

ومن اكرام الضيف حمايته من الأذى ومنع وقوع أى تعد عليه فى جسـمه أو ماله أو عرضه •

قال تعـالى : ﴿ **وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهـر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى ، أليس منكم رجل رشيد** ﴾(١) •

وقال تعالى : **وجاء أهل المدينـة يستبشرون • قـال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون • واتقوا الله ولا تخزون** ﴾(٢) •

وقال تعـالى : **ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عـذابى ونـذر** ﴾(٣) •

ومن اكرام الضيف الترحيب به وتقديم الميسـور من الطعام اليه دون مبالغة ولا تكلف • قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السـلام : ﴿ **ولقد جاءت رسـلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما ، قـال سـلام ، فما لبث أن جـاء بعجل حنيذ** ﴾(٤) •

وقال تعالى : ﴿ **هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين • اذ دخلوا عليه فقالوا سـلاما ، قال سـلام ، قوم منكرون • فراغ الى اهله فجـاء بعجل سمين • فقربه اليهم قال ألا تـأكلون** ﴾(٥)،(٦) •

---

(١) هود : ٧٨ (٢) الحجر : ٦٧ ــ ٦٩
(٣) القمر : ٣٧ (٤) هـود : ٦٩
(٥،٦) الذاريات : ٢٤ ــ ٢٧ • انظر مكارم الأخلاق فى القرآن ــ يحيى العلمى ــ القاهرة : المطبعة العالمية ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥م) • ص ١٣١ • ١٣٢

فالانسان الكريم هو من كان سخيا جوادا دون بخل ولا اسراف ، لان الأخلاق الفاضلة التى أمر بهـا الله تعالى تقوم على قاعدة الوسطية والاعتدال التى تحكم كل صـفة من صفات الخلق الحسن . عن هـذا المنهج جـاء الخطاب الإلهى :

« **والذين اذا انفقو لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** »(١).

وفى العودة الى الأخلاق الاسلامية فى سلوك النبى محمـد صلى الله عليه وسـلم نرى أن الاعتدال كان قرين الكرم والسخاء اللذين أمر بهما، رحث عليهما صلى الله عليه وسـلم . وقد جاء ذلك الحديث الشريف : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »(٢) .

كما أن صـفة الكرم عند النبى صلى الله عليه وسلم اقترنت بالصفح عن المسيىء وهـذا من كرم النفس اضافة الى الجود بما فى اليد . فلقد نقل الرواة فى غير لفظ عن انس بن مالك رضى الله عنه قوله : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وأنا غلام . ليس كل أمر أمرنى كما يشتهى صاحبى أن يكون . فما قال : لم فعلت هذا ؟ أو : ألا فعلت هـذا ؟ » .

وينقل الرواة أيضا فى أكثر من لفظ الامام على كرم الله وجهه كان اذا وصف النبى صلى الله عليه وسـلم ، يقول : « كان أجود النـاس كفـا . وأجرأ الناس صدرا . وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم بذمته . وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه . ومن خالطه فعرفه أحبـه » .

ويحمل لنـا الأثر عن السلف الصـالح كثيرا من مواقف الكرم والانفاق دون خوف من لفقر .

والكرم وهو قيمة أخـلاقية هامة من قيم لاسلام كان من قيم الأخلاق عند العرب قبل الاسلام وأكد عليها الاسلام لأهميتها .

---

١) الفرقان : ٦٧ ٢) رواه البخارى .

وما نعلمه من التاريخ العربى ذلك المثل الذى ضرب بكرم حاتم الطائى الذى ورث الكرم فى تربيته عن أمه « عقبة » التى كانت لا تمنع العطاء عن طالب أو صاحب حاجة ، ولا تدخر شيئا ، مما جعل أشقائها يتهمونها باتلاف المال فيحجرون عليها ، ويمنعونها مالها .

لقد ضرب المثل بكرم حاتم واستعمل اسمه صفة لكل سخى جواد من الناس . ومما يؤثر أن ابنة له أسرت فى احدى غزوات المسلمين ضد الكفار ، ولما عرفت عن نفسها قال النبى صلى الله عليه وسلم لصحبه : « خلوا سبيلها من الأسر فان أباها كان يقرى الضيف »[1] .

وخلاصة القول :

ينبغى على المسلم لكى يكون رجلا أن يتحلى بالكرم ، لأن التوازن النفسى ، والاعتدال السلوكى لا يكونان الا مع الكرم ، وعدم الانجرار وراء الشهوات الحسية مع القناعة بما قسم الله تعالى له من رزق ، اللهم بعد أن يكون قد أعطى الجهد اللازم فى تحصيل رزقه بالطرق المشروعة والمتاحة .

لأن الرجل الكريم هو من كان سخيا جوادا دون بخل أو اسراف . والكرم سمة مميزة للرجولة الاسلامية .

* * *

---

(١) انظر : فى الأخلاق الاسلامية والانسانية ـ على معبد فرغلى ـ القاهرة : دار الكتاب الجامعى ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) ، ص ٢٩ وما بعدها (بتصرف) .

المبحث الثانى

الحلم

الحلم صفة كريمة وهو من أشرف الاخلاق ، وأحقها بذوى العقول الناضجة . فلا توجد نتيجة حسنة ، ولا غاية حميدة ، ولا نهاية سعيدة . الا كان الحلم سبيلها . والموصل اليها لانه يقتلع الشر من جذوره . ويطفىء النار فى أول بدوئها . ويقضى على كل فتنة فى مهدها . ويرغم الشيطان أن يكون من المدحورين المذمومين .

وقد وصف الله به المتقين فى قوله تعالى :

﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ﴾(١) .

ولعظم شأن الحلم عند الله تعالى فقد أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : **﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾(٢) .**

ولعظم شأن الحلم وأهميته فى الاسلام نجد أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قد تحلوا بالحلم واتصفوا به حتى قال الله عز وجل فى مدحهم : **﴿ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾(٣) .**

ومن أجل ذلك نستطيع أن نقول : ان الحلم من خير ما تحلى به الرجال العباد الزهاد ، وأفضل ما تمسك به الاتقياء العلماء .

---

(١) آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٤ (٢) الأعراف : ١٩٩
(٣) الشورى : ٣٧

وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، لهث النـاس خلف الحيـاة المـادية وتركوا التعاليم الربانية ، الا من رحم ربى • ولهـذا ظهرت الأمراض الخطيرة . والعلل الوبيلة التى لم تظهر فى أسـلافنا • ومن الأمراض الخلقية التى انتشرت الغضب ، وعـدم امتلاك زمام الأمور بقوة •

فكم من بيت خرب بسبب الغضب •

وكم من امرأة طلقت بسبب غضب زوجها •

وكم من رجل شـل بسبب الغضب •

وكم من أولاد شردوا بسبب الغضب •

وما اهتم الاسلام الحنيف بأمر من الأمور . قدر اهتمامه ببنـاء الانسان . وتربية المشاعر فيه تربية طيبة [1] •

والحلم من فروع خلق الصبر ، اذ الحلم هو الأناة والتثبت فى الأمر ، وما يلزم عن ذلك من ضبط للنفس عن الغضب ، وكظم للغيظ ، وعفو عن السـيئة •

والحليم هو ذو الأناة الذى لا يستفزه الغضب اذا واجه ما يغضبه ، ولا يتسرع بالعقوبة ، بل يضبط نفسه ، ويتريث ، وبعد الأناة يتصرف على وفق مقتضيات الحكمة ، وكل ذلك لا يكون الا بضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب . وهو وجه من وجوه الصبر •

ولمـا كان الحلم أحـد فروع الصبر جاء فى أسـماء الله الحسنى اسـم الله (الحليم) وقد ذكر العلماء ان معناه الصبور الذى لا يستخفه سبحانه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم . ولكنه جعل لكل شىء مقدارا فهو منته اليه • وذكروا أيضا أن معناه الذى لا يعجل بالانتقام من عباده المجرمين . ليفسح لهم مجالات التوبة والندم وليقيم الحجـة

---

(١) انظر : الحلم ـ ابن أبى الدنيا ـ القاهرة : مكتبة القرآن ، (د. ت) ص ١٣

عليهم بأنهم لم يصلحوا قلوبهم وأعمالهم بعد الحلم بهم . وهذه المعانى لا تخرج عن معانى الصبر . وفى وصف الله قال عز وجل : ﴿ **وكان الله عليما حليما** ﴾(١) .

● **بين الحلم والعقل :**

يوجد ارتباط ايجابى قوى بين الحلم والعقل . وذلك لأن العقل السوى هو الذى يعقل صاحبه عن الاندفاع وراء عواطفه وغرائزه أو وراء انفعالاته وشهواته . أو وراء طبائعه النارية ، أو وراء كل ما يميل به الى الجنوح والانحراف .

● **توجيه الاسلام للتخلق بخلق الحلم :**

١ ــ من تمجيد الحلم وتعظيم أمره . وتمجيد الأناة التى هى من الحلم أو قرينته . روى الامام مسلم فى صحيحه . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس : « ان فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » .

وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا البيان التفصيلى لقول الله تعالى : ﴿ **والله يحب الصابرين** ﴾ ، لأن الحلم والأناة من فروع الصبر .

٢ ــ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حليما ، وقد أعطانا دروسا عملية وقولية فى خلق الحلم منها قصة الأعرابى الجاهل بحرمة المساجد . اذ بال فى المسجد النبوى .

روى البخارى عن أبى هريرة قال : بال أعرابى فى المسجد ، فقام الناس اليه ليقعوا فيه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « دعوه ، وأريقوا على بوله سجلا من ماء فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» السجل : هو الدلو المملوء ماء .

---

(١) الأحزاب : ٥١

فقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا أصحابه كيف يكون الحلم بالجاهلين وكيف يكون الرفق بهم ، وكيف يجب أن يكون الدعاة الى الله والحق والخير والفضيلة ميسرين لا معسرين .

وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : بينما نحن فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه ، مه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزرموه . دعوه » فقال أنس : فتركوه حتى بال . ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : « ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول والقذر ، انما هى لذكر الله ، والصلاة . وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أنس : وأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فسنه عليه . أى صبه عليه .

فى هذه الرواية عن أنس زيادة رائعة . تبين حكمة الرسول التربوية لهذا الأعرابى الجاهل بآداب المساجد . وهى تدل على حلم الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رفقه وحسن سياسته ، وهذا الخلق العظيم هو الخلق الذى ملك به قلوب أصحابه . وفرض به احترامه على أعدائه .

وهكذا كان حلم الرسول صلى الله عليه وسلم حلما عظيما ، فى أقسى حالات الشدة التى واجهها من قبل قومه .

٣ ــ وكما رغب الاسلام بالحلم وحث عليه ومجده حذر من الأخلاق المنافية له . وعمل على تربية المسلمين تربية عملية تأخذ بأيديهم حتى يكونوا حلماء .

● **الغضب :**

فمن التحذيرات النبوية من الغضب ، أى : من الاستجابة لدوافع الغضب ، والغضب مناف للحلم . ما رواه البخارى عن أبى هريرة ، أن

رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى ، قال : « لا تغضب » فردد ذلك مرارا ، فقال : « لا تغضب » .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم طبيب حكيم ، والطبيب الحكيم هو الذى يتبصر بواقع حال مريضه ، فيصف له لعلاج المناسب لحالته المرضية . والظاهر ان هذا الرجل الذى طلب من الرسول أن يوصيه كان الغضب أقوى أمراضه الخلقية ، ومن أجل ذلك اقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على قوله : « لا تغضب » .

ومن الحق ان ضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب بطولة لا يستطيعها الا الاتقياء أقوياء الارادة . والمؤمنون أقوياء الإيمان . فليس من السهل اذا غضب الانسان أن يضبط نفسه ويكف غضبه ؛ وليس من السهل اذا غاظ الانسان أن يضبط نفسه ويكظم غيظه ؛ ويكف عن الانتقام ممن أغضبه أو غاظه . ولذلك جعل الرسول صلى الله عليه وسلم البطولة فى الناس ضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب . وعرف الصرعة من الرجال وهو بطل المصارعة ، بأنه الذى يملك نفسه عند الغضب .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »[1] .

ومن هنا تقرر تلك الحقيقة الخالدة بقدرة الله وعزته وهى أن الحليم رجل جعل النبى صلى الله عليه وسلم قدوته الحسنة وامامه فى كل ما يتخلق به . فتمسك بأخلاقه ، وتحلى بصفاته ، وسار على هديه ومنهجه فكان عطاء الله له عظيما ، وجزاؤه له فى دار الجزاء وافر كريما .

---

(١) انظر : الأخلاق الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن الميدانى ـ دمشق : دار القلم . ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ص ٣٢٣ وما بعدها (بتصرف) .

● **من روائع الأمثلة فى الحلم :**

ـ ومن الأمثلة العظيمة لخلق الحلم ، حلم هود عليه السلام على قومه ، فلقد قابل شتائم قومه له وجهلهم عليه ، بحلم عظيم ، وصبر جسيم ، وصدر واسع . شتموه بأنه ناقص العقل سفيه ، وبأنه من الكاذبين ، فقابلهم بنفى صفة السفاهة عنه ، وأكد لهم أنه صادق فى رسالته غير كاذب ، وفى بيان ذلك يقول الله فى سورة (الأعراف) :

﴿ والى عاد أخاهم هودا ، قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، افلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين . ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين ﴾(١) .

* * *

(١) الأعراف : ٦٥ ـ ٦٨

obeikan.com

المبحث الثالث

الثبـــات

الثبات : فى اللغة الثبـات هو دوام الشىء . وهو ضـد الزوال والرجل الثبيت هو الفارس الشـجاع . والثابت العقل ، والعالم الثبت هو الثقة فى العلم . واسـتثبت تأنى ، فمادة « الثبـات » تدل على الاسـتقرار والرسوخ ، وعلى ضد التزلزل والاضطراب . وفيها أيضا معنى القوة . ولذلك يقال : ثبته الله أى قواه .

والثبـات خلق من أخلاق القرآن الكريم . تحتاج اليه أشـد الاحتياج لان طريق العبادة والطاعة طويل ، لابد من ثبات واستقرار ، وطريق العمل والسـعى الحميد فى الحياة طويل لا بد له من ثبـات واسـتقرار وطريق الحرية والعزة والكرامة طويل لا بد له من ثبات واستقرار . وطريق الأبطال وتحقيق الآمال بكريم الخصال طويل لابد له من ثبات واستقرار ، ولذلك نادى الله جـل جلاله عباده الأخيـار بقوله فى سـورة آل عمران :

« يا ايها الذين آمنـوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »(١) .

وقد أخبر الله تبارك وتعالى عباده أن الثبات صفة كريمة من صفات المؤمنين . تتحقق لهم عن طريق الاهتداء بهدى القرآن المجيد . وبالاقبال على سماعه والاعتصام بحبله وهداه . فقال تعالى فى سورة النحل :

« قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهـدى وبشرى للمسـلمين »(٢) .

---

(١) آل عمران : ٢٠٠
(٢) النحل : ١٠٢

كما أخبر الحق سبحانه وتعالى بأنه من على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بنعمة الثبات ، وانما تحقق الثبات لرسول الله بفضل الله وبما آتاه من وحيه ، وبما قص عليه وذكر له فى قرآنه الكريم من آيات وأنباء وعظات ، ولذلك يقول فى سورة الفرقان :

« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا »(١) .

ويقول فى سورة هود : **« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك »(٢) .**

ويقول فى سورة الاسراء : **« ولولا ان تبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا »(٣) .**

فالله تعالى قد أقر رسوله على الحق ، وحصنه به ، وعصمه من موافقة الكافرين ، وكان رسول الله يدرك خير الادراك فضل الله العظيم فى هذا التثبيت . ولذلك كان يدعو فيقول : « اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين »(٤) .

ومما يذكر أن جميع المناهج الوضعية والقوانين البشرية يعوزها الثبات سواء كانت هذه المذاهب عقلانية أو روحية أو حسيه أو تجريبية ، فما يلبث أن تظهر بين الحين والحين نظريات جديدة تدحض حججها . وتبين ضآلة صدقها . ويعرض بعض العلماء وجهات نظر جديدة تهدم المناهج القديمه وتلغى قواعدها ونظرياتها(٥) .

---

(١) الفرقان : ٣٢ (٢) هود : ١٢٠

(٣) الاسراء : ٧٤

(٤) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ أحمد الشرباصى ، ج ١ ، ص ٩٦

(٥) انظر : الغزو الفكرى الالحادى ـ عبد الحميد متولى ، الأخلاق الاسلامية ـ حسن الشرقاوى ، ص ١١٢

واذا كان الباحث قد هداه الله الى تأمل منهج الله وحظى بنعمة الايمان به وجعل امامه وقدوته الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نجا بنفسه وثبت قلبه على الحق وأمن من شر الانحراف عن الصراط المستقيم ﴿ **للذين استجابوا لربهم الحسنى** ﴾(١) .

اذا تيقن الانسان المسلم بفطرته السليمة أن طريق الله هو الحق ، فانه يربط على قلبه ، ويثبت قدمه فلا يشك فى أمر الله ، ولا يتردد فى طريقه ، اذ تفتح أمامه السبل كما وعد الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾(٢) .

فالذى يتمسك بالمنهج الاسلامى يرشد الى العلم الصحيح ويثبت بالقول الثابت ويعده الله بالأمن الداخلى وبالانهام الملائكى ، فلا يفقد أبدا طريق السلامة والأمن : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾(٣) .

والمنهج الاسلامى ثابت فى حقائقه ، يحظى فيه المؤمن بدرجات تزداد يوما بعد يوم من العلم والمعرفة واليقين فلا يخذله أو يتركه تعالى مادام سائر فى طريق التوحيد والايمان : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾(٤) .

وهذه هى سنة الله للناس جميعا لا تحول فيها فان سنته تعالى لا تتبدل ولا تتغير اذ هى ثابتة أبدا .

﴿ **فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾(٥) .

﴿ **وآتيناك بالحق وانا لصادقون** ﴾(٦) .

ومن المواقف المشهودة التى تحتاج الى الثبات ، والى الاعتصام بحبل الله القوى المتين موقف الجهاد ومقاومة الأعداء ، ولذلك جاء فى سورة الأنفال :

---

(١) الرعد : ١٨ (٢) محمد : ٧
(٣) ابراهيم : ٢٧ (٤) المجادلة : ١١
(٥) فاطر : ٤٣
(٦) الحجر : ٦٤ . انظر المرجع السابق .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحـون ﴾ (١) .

والثبات فى الجهاد قوة معنوية لها قيمتها ، فقد يكون السـلاح والعتاد فى أيدى المجاهدين ، وفيهم الكثرة والقوة الحسية ، ومع ذلك يظلون فى حاجة الى ما هو أهم ، وهو القوة المعنوية المتمثلة فى الثبات ، والبصراء بأمور النضال يقررون أن الثبات يكون فى كثير من الأحيان السبب القوى والأخير للنصر والفوز . فالجيوش تتقاتل وتتصارع ، والأكثر منها صبرا ودواما واسـتمرارا هو الذى يتغلب ويفوز ولعل هـذا هو الذى جعل القرآن المجيـد يحذر تحذيرا شديدا من ترك الثبـات فى القتـال ، ويتهدد من يتنكر لهذا الخلق الكريم بالعقاب والعذاب ، فيقول فى سورة الأنفال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومـأواه جهنم ، وبئس المصير** ﴾(٢) .

ونوه خير تنويه بالذين لا يضطربون ، ولا يتزلزلون ، ولا يهابون ، فقال فيهم فى سـورة آل عمران : ﴿ **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم** ﴾(٣) .

وقد ربط القرآن برباط دقيق بين الثبات الحسى والثبات المعنوى حين يتوافر الايمان واليقين لدى أهله .

ومن أروع مواقف الثبات فى تاريخ الاسلام ، ثبات القلة المؤمنة فى اليوم العصيب الشديد ، يوم غزوة أحد ، وكأن القدر أجرى على

---

(١) الأنفال : ٤٥ (٢) الأنفال : ١٥ ـ ١٦
(٣) آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤

لسان الرسول فى أول الغزوة ما يشير الى ضرورة هذا الثبات ، حيث قال للرماة الذين طالبهم بحماية ظهر الجيش من فوق الجبل : « ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل اليكم ؛ وان رأيتمونا قد هزمنا القوم فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل اليكم » .

والحق الذى لا شك فيه أنه لم ينقذ المسلمين من حرب الابادة والافناء فى هذه الغزوة ـ غزوة أحد ـ الا ثبات الطائفة القليلة من المجاهدين المخلصين .. فحينما أشيع بين المحاربين أن الرسول قد مات ، تخاذل بعض المقاتلين . ولكن أنس بن النضر هتف بأعلى صوته يقول : « يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء . وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء » ..

ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل ؛ وكان لأنس من المسلمين أشباه ونظائر ثبتوا وقاوموا وفى هذا نزل قول الله تعالى فى سورة آل عمران :

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ، كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين »(١) .

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى ثبات النفس ، وثبات الحس فى غزوة أحد .. فقد أصيب فى وجهه وشفتيه وأسنانه . وسال الدم الزكى على وجهه الشريف ، وتعب كثيرا ، حتى صلى الظهر قاعدا بسبب الجراح التى نالته ، وحينما جاء عدو الله « أبى بن خلف » يقول : أين محمد ؟ لا نجوت ان نجا . فقال الصحابة : يا رسول الله ، هل يعطف عليه أحدنا ليقتله ؟ فقال : دعوه ..

---

(١) آل عمران : ١٤٤ ـ ١٤٥

فلما اقترب من الرسول تناول الرسول الحربة من أحد أصحابه وبكل ثبات واطمئنان طعنه بها طعنة قتلته .

ومن هنا قال المقداد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « فوالذى بعثه بالحق مازلت قدمه شبرا واحدا . وان لفى وجه العدو . تفيء اليه طائفة من اصحابه مرة . وتفترق عنه أخرى ، وهو قائم يرمى عن قوسه . ويرمى بالحجر . حتى انحازوا عنه » .

والثبات فضيلة يجب أن يتحلى بها الرجل المسلم ليكون مثالا للرجولة ويجب أن نحتذى بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم لأنه المثل الأعلى فى الكمال والرجولة ولا ننسى موقف الرسول الخالد الذى علم به الدنيا كلها كيف يكون الثبات على الحق ، والاستمساك بالعقيدة . وذلك يوم قال : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى . على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ..

ولا عجب ولا غرابة . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ثبت الله قلبه . وقواه وجعله راسخا فى ثباته كالجبال ، فقام بأعباء الرسالة ، ونشر الدعوة . وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها . لا يزيغ عنها الا هالك .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر » .

ولقد قال القرآن الكريم : **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء**(1).

اللهم ثبتنا على الحق والقيام بأفضل الطاعات ومرافبة الحق على دوام الأوقات(2) .

* * *

---

(1) ابراهيم : ٢٧

(2) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ احمد الشرباصى ، جـ ١ ص ٩٦ ـ ١٠٣ (بتصرف) .

المبحث الرابع

كظم الغيـظ

كظم الغيظ : خلق قرآنى جعله الله تبارك وتعالى من صفات المتقين فقال فى سـورة آل عمران : ﴿ **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السـموات والأرض اعـدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** ﴾(١). **المحسنين** ﴾(١) .

فالمغفرة من الله والجنة التى أعدت للمتقين يظفر بها الذين ينفقون فى السراء والضراء . والذين يكظمون غيظهم ، ويعفون عن الناس ، يسـتحقون محبة الله لهم لأنهم ارتقوا الى مرتبة الاحسـان فكانوا من المحسنين .

ولا يكظم غيظه الا صابر ، ولا يعفو عمن أسـاء اليه الا صابر ، فكظم الغيـظ والعفو عن الناس من مظاهر خلق الصـبر(٢) . ومادة « كظم » تدل فى أصلها اللغوى على الامساك والجمع للشىء ، والكظم هو اجتراع الغيظ والامساك عن ابدائه . وكأنه يجمعه الكاظم فى جوفه . والكظم أيضـا مخرج النفس ـ بفتح الفاء ـ ويقال : كظم البعير . اذا ترك الاجترار ، ويقال : كظمه الغيظ ، اذا أخذ بنفسه ، فهو كظيم . مكظوم .

وقد جاء فى سورة النحل قال تعالى : ﴿ **واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم** ﴾(٣) .

---

(١) آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٤

(٢) انظر : الأخلاق الاسلامية واسسها ـ عبد الرحمن الميدانى ، ص ٣١١

(٣) النحل : ٥٨

وفى سورة يوسف : ﴿ **وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾(١).

وفى سورة غافر : ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين** ﴾(٢) .

وفى سورة الزخرف : ﴿ **ظل وجهه مسودا وهو كظيم** ﴾(٣) .

وفى سورة القلم : ﴿ **ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم** ﴾(٤) .

و « الغيظ » صفة تدل على تغير فى المخلوق عند احتداده يتحرك لها ، وفى الحديث جاءت كلمة : « غيظ جارتها » ، لأنها ترى من حسنها ما يغيظها ويهيج حسدها .

ولقد قال الأستاذ الامام محمد عبده عن الغيظ : « الغيظ ألم يعرض للنفس اذا هضم حق من حقوقها المادية ، كالمال ، أو المعنوية ، كالشرف ، فيزعجها الى التشفى والانتقام ، ومن أجاب داعى الغيظ الى الانتقام لا يقف عند حد الاعتدال ، ولا يكتفى بالحق بل يتجاوزه الى البغى ، فلذلك كان من التقوى « كظمه » .

وقد وردت مادة « الغيظ » فى آيات من القرآن الكريم .

ففى سورة آل عمران : ﴿ **واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، ان الله عليم بذات الصدور** ﴾(٥) .

وفى سورة التوبة : ﴿ **ويذهب غيظ قلوبهم** ﴾ (٦) . وفيها أيضا : ﴿ **ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار** ﴾(٧) .

وفى سورة الأحزاب : ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم** ﴾(٨) .

و « كظم الغيظ » هو تجرعه واحتمال سببه والصبر عليه .

وقد قال المفسرون فى قوله تعالى عن المتقين :

﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾(٩) . أنهم الذين اذا ثار بهم الغيظ ــ وهو

---

(١) يوسف : ٨٤
(٢) غافر : ١٨
(٣) الزخرف : ١٧
(٤) القلم : ٤٨
(٥) آل عمران : ١١٩
(٦) التوبة : ١٥
(٧) التوبة : ١٢٠
(٨) الأحزاب : ٢٥
(٩) آل عمران : ١٣٤

أشد الغضب ــ كظموه وكتموه . ولم يستجيبوا لداعيه ، ولا يعملون غضبهم فى الناس . بل يكفون عنهم شرهم . ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل .

ولشيخ المفسرين الامام ابن جرير الطبرى عبارة فى التعليق على كلمة « والكاظمين الغيظ » يقول فيها ما نصه : فى قوله : « والكاظمين الغيظ » يعنى والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه . يقال منه : كظم فلان غيظه اذا تجرعه . فحفظ نفسه من أن تمضى ما هى قادرة على امضائه باستمكانها من غائها . وانتصارها من ظلمها . وأصل ذلك من كظم القربة . يقال منه : كظمت القربة اذا ملأتها ماء . وفلان كظيم ومكظوم اذا كان مستلئ غما وحزنا ، ومنه قول الله عز وجل : « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » يعنى مستلىء من الحزن ، ومنه قيل لمجارى المياه : الكظائم : لامتلائها بالماء . ومنه قيل : أخذت بكظمه . يعنى بمجارى نفسه . والغيظ مصدر من قول القائل : غاظنى فلان فهو يغيظنى غيظا . وذلك اذا أحفظه وأغضبه[1] .

وكظم الغيظ واخماد جذوة الغضب . والدفع بالتى هى أحسن . أمور تحتاج الى حظ عظيم من خلق الصبر ، فالذى لا يتحلى بخلق الصبر لا يستطيع أن يكظم غيظه . ولا يستطيع أن يسكن غضبه ، ولا يستطيع أن يدفع بالتى هى أحسن . دلت الملاحظة على هذه الحقيقة . ومن الأدلة الاسلامية التى دلت عليها أيضا قول الله تعالى فى سورة (فصلت) : **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم . واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، انه هو لسميع العليم** (2) .

فالله تبارك وتعالى يأمر فى هذا النص بدفع السيئة بالتى هى أحسن ثم يقول : **وما يلقاها الا الذى صبروا** . فدل بهذا على أن هذه الظاهرة من مكارم الاخلاق أثر من آثار خلق الصبر .

---

(1) انظر : موسوعة الاخلاق القرآنية ــ أحمد الشرباصى ص ٦٥

(2) فصلت : ٣٤ ــ ٣٦

من الملاحظ فى المعاملات الاجتماعية بين الناس أن بعضهم قد يسيئون الى اخوانهم اساءات مختلفة فى ألسنتهم . فى أيديهم ، فى غير ذلك من جوارحهم . فى تصرفاتهم المالية أو غير المالية . والاساءة قد تمس النفس . أو تمس العرض والشرف ، أو تمس المال والمتاع ، أو تمس الأهل والعشيرة ، أو تمس أى حق من الحقوق .

والله تعالى يأمر المؤمن فى هذا النص بأن يدفع السيئة التى تأتيه من أخيه . بالخصلة التى هى أحسن . والخصلة التى هى أحسن من رد السيئة بمثلها انما هى العفو والاحسان . او الاعراض وكف الأخذ والرد فى موضوع الاساءة .

وللدفع بالتى هى احسن ثمرات اجتماعية عظيمة ، منها تحويل العدو المجابه بما يسوء ويؤذى الى نصير مدافع وصديق حميم ، وهذا ما نبه عليه وأوضحه قول الله تعالى : **فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**(1) .

وما احوج القادة والموجهين الى هذا الخلق العظيم . بل ما أحوج كل انسان اليه . انه أحد المظاهر الاجتماعية لخلق الصبر ، وهو الدواء المرمم لما يبلى أو يتهدم من الروابط الاجتماعية . والمصلح لما يفسد منها ، والمجدد لما يفنى منها . ومن أجل ذلك أمر الله به ، وأثنى على من يتحلى به ثناء عظيما . فقال تعالى : **وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم**(2) .

أى : ذو حظ عظيم من مكارم الأخلاق وفضائل السلوك ، وهو عند الله يوم الدين ذو حظ عظيم من الأجر والمنزلة الرفيعة فى دار النعيم . اذا كان يدفع السيئة بالتى هى أحسن ابتغاء مرضاة الله ، والله تبارك وتعالى يكافئه بمثل عمله ، فيعفو عن سيئاته ويكفر له خطيئاته . ويضاعف له أجره أضعافا كثيرة ، كل هذا من الحظ العظيم الذى يناله .

---

(1) فصلت : ٣٤ (2) فصلت : ٣٥

فى مقدمة هذا النص جاء قول الله تعالى : ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة** ﴾ ثم جاء بعده مباشرة قوله تعالى ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** ﴾ على طريقة تقرير القاعدة الكلية العامة . ثم التوجيه الى الأخذ بجزئية من جزئياتها .

ان ايراد القاعدة الكلية العامة : ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة** ﴾ بمثابة اقامة الدليل على كمال الدفع بالتى هى أحسن قبل الامر به . وفى ايراد هذه القاعدة اعلان لحقيقة لا ينكرها عاقل . وهى أن الحسنة تقع فى مرتبة الكمال . وان السيئة تقع فى حضيض النقصان ، وهذان الضدان لا يستويان ؛ وكيف يستويان وأحدهما صاعد شطر القمة والآخر هابط شطر الحضيض ؟!

اذا كان الأمر كذلك ففاعل الحسنة لا يمكن أن يستوى مع فاعل السيئة . ففاعل الحسنة يصعد فى معارج المحسنين ، وفاعل السيئة يهوى فى أودية المسيئين .

ولما كان الاسلام يدعو الى الكمال الخلقى ويدفع المسلمين اليه ، كان من الطبيعى بعد اعلان التفاوت الكبير بين الحسنة والسيئة أن يأتى الامر بالدفع بالتى هى أحسن .

وفى هذا النص اشارة الى عامل من العوامل المحرضة على الغضب والانتقام مع وصف العلاج النفسى الناجح ، أما العامل المحرض على الشر فهو نزغ الشيطان فى داخل الأنفس ؛ وأما علاجه فهو الاستعاذة بالله منه ومن نزغاته . قال الله تعالى : ﴿ **واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، انه هو السميع العليم** ﴾(١) .

والسر فى هذا العلاج أن الاستعاذة بالله من شأنها أن تذكر به ؛ وبما أمر به وبما نهى عنه ، وبما أعد لعباده المؤمنين المحسنين من أجر عظيم(٢) .

ولكى يكون المسلم رجلا ينبغى عليه أن يكظم غيظه لأن كظم

---

(١) الأعراف : ٢٠٠

(٢) انظر : الأخلاق الاسلامية واسسها ـ عبد الرحمن الميدانى : جـ ٢ ، ص ٣١٠

الغيظ يحتاج الى ارادة صلبة . وعزيمة قوية وشخصية تتحكم فى عواطفها ومشاعرها وانفعالاتها . فلا يستبد بها الغضب ، ولا يسيطر عليها الهوى الجامح . فيدفعها الى الانتقام والتشفى . أو الى ارتكاب ما لا يحسن بالرجل الحكيم الوقور .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة : انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

والعلماء يقولون ان الغضب هو فوران دم القلب لارادة الانتقام وهذا شىء كان الانسان مجبول عليه ، ولا يستطيع التخلص منه بالكلية . ولكن المأمول من الرجل المسلم صاحب الأخلاق الفاضلة أن يتجنب أسباب الغضب ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وأن لا يطيع الشيطان . أى من اثر وسوسته ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما ولا يتجبر ولا يندفع . وهذا خلق من أخلاق الأنبياء ، لأن الحلم شيمة من شيمهم الأساسية .

وقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وسائل تتقى بها عواقب الغضب السيئة . وتؤدى بنا الى التحلى بحليه كظم الغيظ وهى كما يلى :

١ ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس . فان ذهب عنه الغضب فليضطجع » .

٢ ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الغضب من الشيطان . أى من أثر وسوسته . وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب فليتوضأ » .

٣ ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا غاضبا ثائرا ، فقال : « انى لأعرف كلمة لو قالها أحدكم لذهب عنه الذى يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الرجال الذين تحلوا بكظم الغيظ ويجملنا بخلق الاستقامة على سواء السبيل[1] .

* * *

(١) انظر : موسوعة أخلاق القرآن ــ أحمد الشرباصى : جـ ٢/٦٤ (بتصرف) .

المبحث الخامس

العفـو

« العفو » : كلمة يدل أصل معناها على المحو والطمس . يقال : « عفت الريح الأثر اذا محته وطمسته . وعفا الشيء امتحى ولم يبق له أثر .

والعفو اصطلاحا : هو محو الذنوب ؛ وكل من استحق عقـوبة فتركته فقد عفوت عنه .. ويقال : عفـا الله عنك . أى محا الله عنك ؛ فعفو الله هو محوه الذنوب عن العبد . وقيل ان العفو معناه الترك . فعفو الله اذ هو تركه العقـوبة على الذنب . وفى الدعاء المـأثور : « أسألك العفو والعافية » أى أسألك ترك العقوبة وتحقيق السلامة ، لأن العافية هى الصحة . وهى أن تسلم من الأسقام والبلايا .

و « العفو » بضم الفاء وتشـديد الواو ــ هو الكثير العفو ؛ فالكلمة صيغة مبالغة على وزن فعول . وهى اسم من أسماء الله ــ عز وجل ــ التى تكرر ذكرها فى القرآن الكريم .

و « المعافاة » مفاعلة من العفو ؛ بأن يعفو الانسـان عن الناس ويعفو الناس عنه ؛ وقيل هى أن يعافيك الله من الناس ، ويعافيهم منك . أى يغنيك عنهم . ويغنيهم عنك ؛ ويصرف أذاهم عنك ، وأذاك عنهم .

وحقيقة العفو أن يخطىء معك انسان ؛ وتكون قادرا على معاقبته ومؤاخذته . ولكنك تعرض وتصفح . ولذلك قيل : العفو عند المقدرة .

والعفو خلق من أخلاق القرآن الكريم التى كرر ذكرها ؛ ورفـع قدرها ولعل مما يبين هذا القدر الرفيع للعفو أن القرآن المجيد جعله صفة من صـفات الله ــ عز وجل[1] .

---

(١) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ــ أحمـد الشرباصى : جـ ١ ص ٣٤

والعفو والصفح عن عثرات المسلم من الصفات الحميدة التى جاء بها ديننا الاسلامى الحنيف ، والعافون عن الناس جزاؤهم عند الله تعالى جنة عرضها السموات والأرض .

يشير الى ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** ﴾(١).

ان الأخلاق الكريمة فى مثالية الاسلام . قال ابن عباس رضى الله عنهما ، ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة واليا وكان وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ما ترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الينا بعين أرق من الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته ، تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر فى وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ما ردها الا ذقن الوليد وانكب جميع ما فيها فى حجره فبقى الغلام متمثلا واقفا وما معه من روحه الا ما يقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه وأقبل علينا تبرق أسارير جبهته فأقبل على الفراش وقال يا بائس ما أرانا الا روعناك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى .

ومرض أحمد بن أبى داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عفاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار شدة . فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لأهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لأبيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه :

---

(١) آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٤

ان المكارم والمعارف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع[1]

وروى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيه وثالثة فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال : أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فانت حر لوجه الله تعالى .

وما زال السلف الصالح يحرصون على الأخلاق الكريمة ويبارون فيها عملا بأخلاق الرسول وتوجيهاته الكريمة .

واذا كان الرسول الاعظم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المثل الأعلى لكل مسلم . فان أخلاقه كذلك هى القدوة السامية التى لا تشبهها قدوة فى مكارم الأخلاق وفضائل الشيم . ولقد سئلت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن أخلاقه ؛ فأجابت كان خلقه القرآن . والقرآن يطلب الى الرسول الكريم ان يتمسك بخلق العفو . فيقول فى سورة آل عمران: **« فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر »(٢)** .

ويقول فى سورة المائدة : **« فاعف عنهم واصفح ، ان الله يحب المحسنين »(٣)** .

ويقول فى سورة الأعراف : **« خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين »(٤)** .

واذا كان بعض المفسرين قد فسر قوله تعالى : « خذ العفو » . بقوله : اقبل السهل الميسور منهم . فان كثيرا من المفسرين قد قالوا ان معنى ذلك هو تعاطى العفو عن الناس ؛ أى أعف عمن يليق به العفو منهم .

---

(١) انظر : كلمات من نور ـ نانى المنصور ـ الرياض : مكتبة الرياض الحديثة . ١٣٩٣ هـ . ص ٢٦٨

(٢) آل عمران ١٥٩ (٣) المائدة : ١٣

(٤) الأعراف : ١٩٩

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع المثل فى الحلم والصفح حتى رووا أنه كان أحلم الناس وأرغبهم فى العفو مع القدرة .

ولقد جاء فى سيرته العاطرة أنه كان يقسم للناس ذات يوم ، فقال رجل من أهل البادية فيه فظاظة : يا محمد ، والله لئن أمرك الله أن تعدل . فما أراك تعدل ، فأجاب النبى ويحك فمن يعدل عليك بعدى ؟ وانصرف الرجل . فقال الرسول فى عفو رائع : ردوه على رويدا .

وفى تاريخ عفو الرسول صلى الله عليه وسلم موقف لا ينسى ولا يبلى . فذلك يوم فتح الله عليه مكة . وانتصر على أعدائه الذين آذوه واضطهدوه وأخرجوه . فانه قال لهم ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فأجابوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ولم يكتف القرآن الكريم بتعطير سيرة العفو فيه ، ولا بطلبه من الرسول ليكون قدوة ، بل طلبه أيضا من العباد ، فقال تعالى فى سورة النور : ﴿ **وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾

هذا ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العفو : « ما زاد الله رجلا بعفو الا عزا » .

وتابع ابن عباس خطوات الرسول فقال : « ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله عزا » .

ومن القول المنسوب الى معاوية : « انى لأستحيى من ربى أن يكون ذنب أعظم من عفوى . أو جهل أكبر من حلمى ، أو عورة لا أوريها بسترى »[1] .

وتظهر لنا قيمة أخذ العفو اذا عرضناه فى الصورة التمثيلية التالية :

أقام أحد المربين ساحة للامتحان الأخلاقى ، وأخبر فريقا من

---

(١) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ أحمد الشرباصى ، جـ ١ ، ص ٣٤ (بتصرف) .

تلامذته بأنه سيدفع بهم الى هذه الساحة ، وأنهم سيتعرضون فيها لمن يؤديهم . وأنهم سيجدون أنفسهم فى مواجهة هؤلاء المؤذين أمام احتمالات يعلمونها .

ففى وسط الساحة وعلى القرب منهم باب يقال له : باب العفو ؛ اذا دخلوا منه خلصوا من احتمال مضاعفة الأذى ؛ وحسوا أنفسهم ووجدوا وراء هذا الباب مكانا رحبا ، وقصرا منيفا ، وحدائق وارفات الظلال . ثم يأتى اليهم خدم فيقدمون لهم ما يريدون من مال ونعيم ؛ ويقولون لهم : هذا عندنا ثواب من دخل باب العفو ، اذا كان من العافين عن الناس .

وفى اقصى الساحة باب يقال له : باب الانتقام بالعدل . فمن أراد ان ينتقم لنفسه من آذاه فانه سيجد نفسه مضطرا الى مطاردة من اذاه . حتى يلهث من شدة العدو . ويبذل جهدا فى المطاردة ، واخيرا يسبقه من اذاه فيدخل فى باب الانتقام بالعدل ؛ فيلاحقه الرجل فيدخل وراءه فيجد نفسه فى ساحة العدل وعندئذ قد يتمكن من مقابلته بالمثل . وربما كان المعتدى صاحب شر فيقاوم . وتشتد المعركة . وقد لا يظفر فى هذه المعركة صاحب الحق ، فلا يستطيع أن ينتقم لنفسه . فان ظفر وانتقم لنفسه وانتهى الأمر ، نظر فى ساحة العدل فلم يجد شيئا يأخذه . فرجع من حيث أتى جاهدا تعبا ، لا يحمل ربحا ، ولم يصب متعة ولا مالا .

وفى أقصى ساحة لعدل أبواب يخرج منها المعتدون والمنتقمون بالعدل . فمن لاحق من المنتقمين خصمه من واحد منها ليسرف فى الانتقام أكثر من حقه انزلق فى وادى الظلم ؛ فأصابه فيه على مقدار ظلمه تهشيم وبلاء . ثم يخرج وهو يحمل أوزاره ، وقد عرض نفسه لينتقم منه بمقدار ما زاد على حقه .

وقد أجرى المربى الأخلاقى اختباره على أتقن وجه . فكان من دخل باب العفو من المنعمين المكرمين المحظوظين بالعطاء السخى . وكان من دخل باب الانتقام بالعدل ولم يتجاوز حدود ساحة العدل

محروما من العطاء والتنعيم والتكريم ، ورجع بعد خسارة الجهد بخفى حنين . وكان من تجاوز ساحة العدل الى وادى الظلم محروما من العطاء ومن راحة النفس ، ورجع يحمل أوزاره مطلوبا بعد أن كان طالبا .

فأى الثلاثة هو الأخذ الرابح ؟ انه من أخذ العفو ، فما أروع قول الله تعالى : ﴿ **خذ العفو** ﴾ .

● **فضل العفو :**

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال . وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل » .

وعن « عبادة بن الصامت » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . وقال تحلم على من جهل عليك ، وتعفوا عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك » .

المعنى : أنه لأسلوب رائع من أساليب التربية الذى كان يستعمله النبى عليه الصلاة والسلام مع صحابته رضوان الله عليهم أجمعين ، حيث كان ينوع فى أساليبه حسبما يقتضى المقام . فكان تارة يستعمل أسلوب الاغراء ، وأحيانا أسلوب النهى ، وتارة أسلوب الاستفهام ، وهكذا كان ينوع فى أساليبه المشوقة البليغة حتى ربى أعظم جيل عرفه التاريخ على الاطلاق[1] .

والعفو فضيلة من الفضائل التى يجب أن يتحلى بها الرجل لأنها علامة من علامات الرجولة والرجل المسلم الكيس الفطن اذا أخطأ معه أى انسان يصفح ويعفو عنه لأن أفضل العفو هو العفو عند المقدرة . والعفو جزاؤه جنة عرضها السموات والأرض .

وان العفو خلق من أخلاق القرآن ، فليحرص عليه أبناء القرآن ليستحقوا عفو الرحمن .

* * *

(١) انظر : الفضائل فى ضوء الكتاب والسنة ـ محمد سالم محسن ـ الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) . ص ٢٢٣ (بتصرف) .

المبحث السادس

المودة

المودة من الود ، وهو محبة الشيء وتمنى كونه ، والتمنى يتضمن معنى الود لأن التمنى هو تشهى الانسان حصول ما يوده • ويقال : ود فلان الشيء : أى أحبه وهويه وتمنى وقوعه • وواد فلان فلانا : أى أحبه ومال اليه وألفه •

ومن أسماء الله الحسنى اسم « الودود » وهو على وزن فعول بمعنى مفعول ، فهو مودود ، أى محبوب فى قلوب أوليائه ، ويجوز أن يكون على وزن فعول بمعنى فاعل ، أى أنه يحب عباده الصالحين . بمعنى أنه يرضى عنهم •

وفى سورة هود يقول الحق جل جلاله : ﴿ **واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، ان ربى رحيم ودود** ﴾(١) .

أى يضاعف الاحسان والأنعام لأوليائه ، ويغمرهم برضائه ، وكأن مودة الله تبارك وتعالى ينبغى أن يقابلها استغفار العبد من سالف الذنوب ، والتوبة الى الله فيما يستقبل من الأعمال السيئة ، فالله ودود لمن استغفر وتاب •

وفى سورة البروج : ﴿ **وهو الغفور الودود** ﴾(٢) .

أى المحب لعباده الصالحين ، كما يود أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة • أو الذى يوده هؤلاء العباد ويحبونه •

﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه** ﴾(٣) •

---

(١) هود : ٩٠
(٢) البروج : ١٤
(٣) البينة : ٨

وقد ذكر الرازى لكلمة « الودود » عدة أقوال : أولها المحب ، وثانيها المتودد الى أوليائه بالمغفرة والثواب ، وثالثها أنه محبوب من عباده الصالحين ، لما عرفوا من كمال فى ذاته وصفاته وأفعاله ، ورابعها أن الودود هو الحليم .

ونفهم من حديث القرآن الكريم أن المودة الطاهرة خلق من أخلاق القرآن وفضيلة من فضائل الاسلام . وهاهو ذا التنزيل المجيد يخبرنا أن هذه الفضيلة نعمة من الله على الأخيار من خلقه ، فهو يقول فى سورة مريم : **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** »(١) .

أى سيرزقهم محبة فى القلوب ، وذلك بشارة بسعة الاسلام وبسط سلطانه . ومحق المنافقين الذين يضمرون البغض للمؤمنين ، أو أن ذلك يكون يوم القيامة . اذ يتآلف المؤمنون ، ولا يكون فى قلوبهم غل .

وقيل ان المراد بالود هنا هو مراعاة الله لهم ، ويروى الأصفهانى أن الله تعالى قال لنبيه موسى عليه السلام : « انى لا أغفل عن الصغير لصغره . ولا عن الكبير لكبره . وأنا الودود الشكور » .

ولكن المعنى الأول أوضح . لأن الله تعالى يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات محبه ومودة فى قلوب عباده الصالحين ، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : يا جبريل انى احب فلانا فأحبه . فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء . ثم يوضع له القبول فى الأرض . وإن الله اذا أبغض عبدا دعا جبريل فقال له : يا جبريل ، انى أبغض فلانا فأبغضه ، فيبغضه جبريل . ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله يبغض فلانا فأبغضوه . فيبغضه أهل السماء ، ثم يوضع له البغضاء فى الأرض » .

---

(١) مريم : ٩٦

ويقول القرآن فى سورة الروم : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾(١) .

ـ أى خلق لكم من جنسكم اناثا يكن لكم زوجات لتسكنوا اليهن . وتجدوا لديهن الأمان والاطمئنان والائتلاف . وجعل بينكم وبينهن محبة ورأفة .

والمودة بين المسلمين أمر واجب ، لأن الله جل جلاله يقول : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾(٢) .

والمودة التى يباركها القرآن المجيد يجب أن تكون على طهارة واخلاص والا كانت نفاقا ومراءاة ، ولذلك يقول القرآن فى سورة القلم : ﴿ **فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون** ﴾(٣) .

فهم من نفاقهم تمنوا لو تلين فيلينون لك ، أو ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمالئونك . أو ودوا لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك فى دينهم .

ومن هنا تنشأ المودة الحقيقية الصادقة من القلب ومن أعماق الانسان ولقد تتباعد الأشباح ويتواد مع ذلك الأرواح ، والرسول عليه الصلاة والسلام يشير لى ذلك حين يقول : « الأرواح جنود مجندة . فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

وشوقى يقول :

فان القرب بالروح وليس القرب بالجسم

وكتب صديق الى صديقه يقول له : « انى صادقت منك جوهر نفسى ، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام ، لأن النفس تتبع بعضها بعضا » .

---

(١) الروم : ٢١ (٢) التوبة : ٧١
(٣) القلم : ٨ ـ ٩

ويقول القرآن الحكيم فى سورة آل عمران : « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير** »(١) .

ـ لا ينبغى للمؤمنين ان يتخذوا الكافرين أولياء أصحاب مودة لهم . أو أن يستعينوا بهم أو يلتجئوا اليهم . ويجب أن تكون المودة والموالاة مع المؤمنين ، الا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنين مغلوبين فيحار المؤمن ان لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم ، فعند ذلك يجوز له اظهار موافقتهم بلسانه ومداراتهم تقيه منهم ودفعا عن نفسه . من غير أن يعتقد ذلك .

ـ ولقد ورد ذكر المودة فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففى صحيح البخارى جاء قول الرسول : « ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من أمتى لأتخذت أبا بكر . ولكن أخوة الاسلام ومودته »(٢) .

وانما لم يتخذ النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر خليلا لأنه خلته أى محبته التى تتخلل القلب فتصير فى باطنه ـ كانت مقصورة على حب الله تعالى . فليس فيها لغيره متسع ولا شركة ، وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب أو اجتهاد ، وانما يخص الله بها من يشاء من عباده . مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وينوه النبى صلى الله عليه وسلم بالمودة التى ينبغى أن يقوم بها الولد نحو من كان يودهم أبوه فيقول : « ان من أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه » .

كما يشير الى المودة الطيبة التى تنشأ بين الزوج وزوجته حين يقول : « تزوجوا الودود الولود »(٣) .

---

(١) آل عمران : ٢٨ (٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

ويتحدث أبو الحسين النووى عن أعلى أنواع المودة وهى محبة الله جل جلاله فيقول : « من وصل الى وده أنس بقربة ، ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد »[1] .

ويشير هرم بن حيان الى حب الله تعالى هو الطريق الى استقامة المحبة مع الناس فيقول : « ما أقبل عبد بقلبه الى الله الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه ، حتى يرزقه مودتهم ومحبتهم »[2] .

والمودة علامة برزة من علامات الرجولة فى الاسلام ولكى يكون المسلم رجلا بمعنى الكلمة لابد أن تكون المودة سمة أساسية فى أخلاقه ويحب الناس . فالناس يشاون أهم عنصر فى هذه الحياة ، وبغير اهتمام منك باقامة علاقات معهم على أساس من الود والتفاهم فانك فى الحقيقة تفقد الشىء الكثير . فالانسان لا يمكن أن يعيش وحيدا ويكون سعيدا فى هذه الحياة . وكل فرد فى حاجة الى الشعور بالانتماء للجماعة التى يعيش فيها ، ويكره أن يكون منبوذاً ومنعزلا عن هذه الجماعة ، وكل فرد فى حاجة الى التقدير .

والواقع أن الشخص يمكنه أن يزيد من محبة الناس له اذا كان ودودا ويتيح الفرصة للأفراد الذين يتقابل معهم فى أن يتحدثوا عن أنفسهم وعن أهمية الأعمال التى يقومون بها .

اللهم هبنا حبك وحب من يحبك فانك أنت الودود الرحيم .

* * *

---

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده .

(٢) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ احمد الشرباصى ، جـ ٤ ص ١٣٤ وما بعدها (بتصرف) .